

لك أن نافي نفسك من رأس الحجة قفلت والله لأننا أسر بقدم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث . وهذا حديث غريب جدا آخر تفسير سورة الرعد والله الحمد والله

## ﴿ تفسير سورة إبراهيم عليه السلام وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الرَّكِيبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ \* اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ \* الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور ( كتاب أنزلناه إليك ) أى هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذى هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله فى الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم ( لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ) أى إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والعمى إلى الهدى والرشد كما قال تعالى ( الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ) الآية . وقال تعالى ( هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) الآية وقوله ( بإذن ربهم ) أى هو الهادى لمن قدر له الهداية على يدي رسوله للبعوث عن أمره يهديهم ( إلى صراط العزيز ) أى العزيز الذى لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ماسواه ( الحميد ) أى الحمود فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه الصادق فى خبره وقوله ( الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ) قرأ بعضهم مستأنفاً مرفوعاً وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى ( قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جمعاً الذى له ملك السموات والأرض ) الآية وقوله ( وويل للكافرين من عذاب شديد ) أى ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك ، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أى يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة ونزكوها وراء ظهورهم ( ويصدون عن سبيل الله ) وهى اتباع الرسل ( ويبغونها عوجاً ) أى يحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة عائلة وهى مستقيمة فى نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلفها فى ابتغائهم ذلك فى جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم كما روى الأمام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « لم يبعث الله عزوجل نبيا إلا بلغة قومه » وقوله ( فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ) أى بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدى من يشاء إلى الحق ( وهو العزيز ) الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ( الحكيم ) فى أفعاله فيضل من يستحق الاضلال ويهدى من هو أهل لذلك ، وقد كانت هذه سنته فى خلقه أنه ما بعث نبيا فى أمة إلا أن يكون بلغتهم فاخص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة إلى سائر الناس كما ثبت فى الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »  
وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً )

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيِمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم إلى الخروح من الظلمات إلى النور كذلك أرسلنا موسى إلى بني إسرائيل بآياتنا قال مجاهد : هي التسع الآيات ( أن أخرج قومك ) أي أمرناه قائلين له ( أخرج قومك من الظلمات إلى النور ) أي ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان ( وذكروهم بأيام الله ) أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر ووعون وقهره وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم وقلقه لهم البحر وتظليله إياهم العمائم وانزاله عليهم المن والسلوى إلى غير ذلك من السمع قال ذلك مجاهد وقادة وغير واحد ، وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل في مسند أبيه حيث قال حدثني يحيى بن عبدالله مولى بني هاشم حدثنا محمد بن أبان الجعفي عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ( وذكروهم بأيام الله ) قال بعم الله ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبان به ورواه عبدالله بنه أيضاً موقوفاً وهو أشبه ، وقوله ( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) أي إن فيها صنعا بأوليائنا بني إسرائيل حين ألقواهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبارة لكل صبار أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة نعم العبد عبد إذا ابتلى صبر وإذا أعطى شكر . وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن أمر المؤمن كله عجب لا يقص الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته صراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له »

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبُّونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ \* وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ \* وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفِي حَمِيدٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن موسى حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم إذا أنجاهم من آل فرعون وما كانوا يسوموهم به من العذاب والاذلال ، حيث كانوا يذبحون من وجد من آبائهم ويتركون إناهم فأقدهم الله - من ذلك وهذه نعمة عظيمة ولهذا قال ( وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ) أي نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك أنتم عاجزون عن القيام بشكرها . وقيل وفيما كان يصنعهم بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ( بلاء ) أي اختبار عظيم ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا والله أعلم كقوله تعالى ( وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون ) وقوله ( وإذ تأذن ربكم ) أي آدمكم وأعلمكم بوعده لكم ، ويحتمل أن يكون المعنى : وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه كقوله تعالى ( وإذ تأذن ربك ليعتقن عليهم إلى يوم القيامة ) وقوله ( لئن شكرتم لأزيدنكم ) أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها ( ولئن كفرتم ) أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ( إن عذابي لشديد ) وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها وقد جاء في الحديث « إن العبد ليحرم الرزق بالثوب يصيبه » وفي السند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به سائل

فأعطاه نمره فتنسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر فأعطاه إياها فقبلها وقال تمره من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر له أربعين درهما أو كما قال : قال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا عمارة الصيدلاني عن ثابت عن أنس قال أتى النبي ﷺ سائل فأمر له بتمره فلم يأخذها أو وحش بها - قال - وأتاه آخر فأمر له بتمره فقال سبحان الله تمره من رسول الله ﷺ فقال للجارية « اذهبي إلى أم سلمة فأعطيها الأربعين درهما التي عندها » تفرد به الإمام أحمد وعمار بن زاذان وثقه ابن حبان وأحمد ويعقوب بن سفيان ، وقال ابن معين : صالح وقال أبو زرعة لأبأس به وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين ، وقال البخاري ربما يضطرب في حديثه وعن أحمد أيضا أنه قال روى أحاديث منكورة ، وقال أبو داود ليس بذلك وضعفه الدارقطني وقال ابن عدى لأبأس به ممن يكتب حديثه

وقوله تعالى ( وقال موسى إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ) أي هو غني عن شكر عباده وهو الحمد المحمود وإن كفره من كفره كقوله ( إن تكفروا فإن الله غني عنكم ) الآية وقوله ( فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ) وفي صحيح مسلم (١) عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص الخيط إذا دخل البحر » فسبحانه وتعالى الغني الحميد

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾

قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه يعني وتذكيره إياهم بأيام الله بانتقامه من الأمم المكذبة بالرسول ، وفيما قال ابن جرير نظر ، والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الأمة فإنه قد قبل إن قصة عاد وثمود ليست في التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصصه عليهم لاشك أن تكون هاتان الفصتان في التوراة والله أعلم وبالجملة فأنه تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسول مما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل ( جاءتهم رسلهم بالبينات ) أي بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات ، وقال ابن إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال في قوله ( لا يعلمهم إلا الله ) كذب النسابون وقال عروة بن الزبير ما وجدنا أحداً يعرف ما بعد معد بن عدنان وقوله ( فردوا أيديهم في أفواههم ) اختلف المفسرون في معناه قيل معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرهم بالسكوت عنهم لما دعواهم إلى الله عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكديباً لهم ، وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة : معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم قال ابن جرير وتوجيهه أن في هنا معنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخلك الله بالجنة يعنون في الجنة ، وقال الشاعر :

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه \* ولكنني عن سننيس لست أرغب

يريد أرغب بها قلت ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ( وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ) فكان هذا والله أعلم تفسير المعنى ( فردوا أيديهم في أفواههم ) وقال سميان الثوري وإسرائيل عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله ( فردوا أيديهم في أفواههم ) قال عضوا عليها غيظاً وقال شعبة عن أبي إسحق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله أنه قال ذلك أيضاً ، وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ووجهه ابن جرير يختار له بقوله تعالى عن المنافقين ( وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ) وقال العوفي عن ابن عباس لما سمعوا كلام الله عجبوا وارجعوا

(١) قوله وفي صحيح مسلم إلخ الموجود هنا بعض الحديث .

بأيديهم إلى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلنا به الآية يقولون لا نصديقكم فيما جئتم به فان عندنا فيه شكاً قوباً

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِىَ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَسَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ \* وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

نجر تعالى عما مدار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة وذلك أن أهمهم لما واحبهم بالشك فيا حاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل (أفى الله شك) وهذا يحتمل شيئين (أحدهما) أفى وجوده شك فان الفطر مشاهدة بوجوده ومجولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضرورى فى الفطر السليمة ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطرار فتحتاج إلى النظر فى الدليل الموصول إلى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه (فاطر السموات والأرض) الذى خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فان شواهد الحدوث والحلق والتسخير ظاهر علمه ما فلا بد لها من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شىء وإلاه ومليكه، والمعنى الثانى فى قولهم (أفى الله شك) أى أفى إلهيته وتفرد به بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له فان غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التى يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى، وقالت لهم رسلهم (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أى فى الدار الآخرة (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى فى الدنيا كما قال تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) الآية فقالت لهم الأمم محاجين فى مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الأول وحاصل ما قالوه (إن أنتم إلا بشر مثلنا) أى كيف تتبعكم بمجرد قولكم ولما نر منكم معجزة (فأتونا بسطان مبین) أى خارق تقترحه عليكم (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) أى صحيح انابشر مثلكم فى البشرية (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) أى بالرسالة والنبوة (وما كان لنا أن نأتىكم بسطان) على وفق ما سألتهم (إلا بإذن الله) أى بعد سؤالنا إياه وإذنه لنا فى ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فى جميع أمورهم ثم قالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله) أى وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هداانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها (ولصبرن على ما آذيتمونا) أى من الكلام السىء والأفعال السخيفة (وعلى الله فالتوكل المتوكلون).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ \* وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ \* وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ \* مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسَمَّىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ \* يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾

نجر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الاخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم كما قال قوم شعيب له ولئن آمن به (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) الآية. وكما قال قوم لوط (أخرجوا آل لوط من قريبتكم) الآية وقال تعالى إخباراً عن مشركى قريش (وإن كادوا ليستقروا لك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك

إلا قايلاً) وقال تعالى (وإد يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير  
 للماكرين) وكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وحندا  
 يقاتلون في سبيل الله تعالى ولم يزل يرقيه تعالى من شيء إلى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته ومكن له فيها وأرغم أنوف  
 أعدائهم منهم من سائر أهل الأرض حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأدبان في مشارق  
 الأرض ومغاربها في أيسر زمان ولهذا قال تعالى ( فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم  
 كما قال ) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين \* إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ) وقال تعالى ( كتب الله لأعلن  
 أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ) وقال تعالى ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ) الآية ( وقال موسى لقومه استعينوا بالله  
 واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ) وقال تعالى ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون  
 مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون  
 وقومه وما كانوا يعرشون ) وقوله ( ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ) أي وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم  
 القيامة وخشى من وعيدي وهو تخويفي وعذابي كما قال تعالى ( فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى )  
 وقال ( ولمن حاف مقام ربه جنتان ) وقوله ( واستفتحوا ) أي استنصرت الرسل ربها على قومها قاله ابن عباس ومجاهد  
 وقادة ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استفتحت الأمم على أنفسها كما قالوا ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر  
 علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا كما أنهم استفتحوها على أنفسهم يوم  
 بدر واستفتح رسول الله ﷺ واستنصر ، وقال الله تعالى للمشركين ( إن تستفتحو فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو  
 خير لكم ) الآية والله أعلم ( وخاب كل جبار عنيد ) أي متجبر في نفسه عنيد معاند للحق كقوله تعالى ( ألقيا في جهنم كل كفار  
 عنيد ، مناع لخبز معتد مرعب ، الذي جعل مع الله إلها آخر فآلتيه في العذاب الشديد ) وفي الحديث « انه يؤتى بجهنم  
 يوم القيامة فتنادى الخلائق فقول إني وكلت بكل جبار عنيد » الحديث . خاب وخسر حين اجتهد الأنبياء في الانهال  
 إلى ربها العزيز المقدر ، وقوله ( من ورائه جهنم ) وراء هنا بمعنى أمام كقوله تعالى ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل  
 سفينة غصبا ) وكان ابن عباس يقرؤها وكان أمامهم ملك أي من وراء الجبار العنيد جهنم أي هي له بالمرصاد يسكنها  
 مخلدا يوم المعاد ويعرض عليها غدواً وغشيا إلى يوم التناد ( ويسقى من ماء صديد ) أي في النار ليس له شراب إلا من  
 حميم وغساق فهذا حار في غاية الحرارة وهذا بارد في غاية البرد والتن كما قال ( هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من  
 شكله أزواج ) وقال مجاهد وعكرمة : الصديد من القيح والدم ، وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وفي رواية  
 عنه الصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم ، وفي حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد  
 ابن السكن قالت قلت يا رسول الله ما طينة الجبال قال « صديد أهل النار » وفي رواية « عصارة أهل النار » وقال  
 الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحق أنبأنا عبد الله أنا صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بشر عن أبي أمامة رضى الله  
 عنه عن النبي ﷺ في قوله ( ويسقى من ماء صديد يتجرعه ) قال « يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى  
 وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره » يقول الله تعالى ( وسقوا ماء حميما فقطع  
 أمعاءهم ) ويقول ( وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ) الآية ، وهكذا رواه ابن جرير من حديث  
 عبد الله بن المبارك به ورواه هو وابن أبي حاتم من حديث بنية بن الوليد عن صفوان بن عمرو به ، وقوله ( يتجرعه )  
 أي يتغصصه ويتكرهه أي يشربه فهرا وقسرا لا يصعه في فمه حتى يصربه الملك بمطراق من حديد كما قال تعالى  
 ( ولهم مقامع من حديد ) ( ولا يكاد يسيغه ) أي يردده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطيع  
 ( ويأتيه الموت من كل مكان ) أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه قال عمرو بن ميمون بن مهران من كل عظم وعصب  
 وعرق ، وقال عكرمة حتى من أطراف شعره ، وقال إبراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من  
 أطراف شعره وقال ابن جرير ( ويأتيه الموت من كل مكان ) أي من أمامه وخلفه وفي رواية وعن يمينه وشماله ومن فوقه

ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده ، وقال الضحاك عن ابن عباس ( ويأتيه الموت من كل مكان ) قال أنواع العذاب الذى يعذبه الله بها يوم القيامة فى نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال ( لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ) ومعنى كلام ابن عباس رضى الله عنه أنه مامن نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لا يموت ليخلد فى دوام العذاب والنكال ولهذا قال تعالى ( ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ) وقوله ( ومن ورائه عذاب غليظ ) أى وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أى مؤلم صعب شديد أغلظ من الذى قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم ( إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم \* طلوعها كأنه رؤوس الشياطين \* فإنهم لا يكون منها فمما لثون منها البطون \* ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم \* ثم إن مرجعهم لىلى الجحيم ) فاخبر أنهم تارة يكونون فى أكل زقوم وتارة فى شرب حميم وتارة يردون إلى جحيم عياداً بالله من ذلك وهكذا قال تعالى ( هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ) وقال تعالى ( إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يعلى فى الطون كغلى الحمم ، خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أناب العزيز الكريم ، إن هذا ما كنتم به تمترون ) وقال ( وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لبارد ولا كريم ) وقال تعالى ( هذا وإن للطاغين لشر مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد ، هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج ) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصى إلا الله عز وجل جزاء وفاقا ( وما ربك بظلام للعبيد )

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله ونوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانها رت وعدموها أحوج ما كانوا إليها ، فقال تعالى ( مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم ) أى مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يحدوا شيئاً ولا ألفوا حاصلها إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة ( فى يوم عاصف ) أى دى ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التى كسبوا فى الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد فى هذا اليوم كقوله تعالى ( وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ) وقوله تعالى ( مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ، ولكن أنفسهم يظلمون ) وقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى كالذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدر على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ) وقوله فى هذه الآية ( ذلك هو الضلال البعيد ) أى سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه ( ذلك هو الضلال البعيد )

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودُ بِذُنُوبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التى هى أكبر من خلق الناس أفليس الذى قدر على خلق هذه السموات فى ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفة والآيات الباهرات وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبرارى وصحارى وقفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومانعها وأشكالها وألوانها ( أولم يروا أن الله الذى خلق

السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بل إنه على كل شيء قدير ) وقال تعالى ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ \* قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم \* الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون \* أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم \* إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون \* فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ) وقوله ( إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد \* وما ذلك على الله بعزيز ) أى بعظيم ولا تمتنع بل هو سهل عليه إذا خالتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد \* إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد \* وما ذلك على الله بعزيز ) وقال ( وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم \* ثم لا يكونوا أمثالكم ) وقال ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ) وقال إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً )

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَا مَا عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾

يقول تعالى ( وبرزوا ) أى برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار أى اجتمعوا له فى براز من الارض وهو المكان الذى ليس فيه شيء يستر أحدا ( فقال الضعفاء ) وهم الاتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ( للذين استكبروا ) عن عبادة الله وحده لا شريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم ( إنا كنا لكم تبعاً ) أى مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا ( فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ) أى فهل تدفون عنا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا فقالت القادة لهم ( لو هدانا الله لهديناكم ) ولكن حق علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم قدر الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين ( سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ) أى ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فإنا أدرك أهل الجنة الجنة بيكاهم وتضرعهم إلى الله عز وجل تعالوا نبك وتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر تعالوا حتى نصبر فصبروا صبوا لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا ( سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ) الآية ، قلت والظاهر أن هذه المراجعة فى النار بعد دخولهم إليهم كما قال تعالى ( وإذا يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تباعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ، قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ) وقال تعالى ( قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أحرأهم لأولأهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ؛ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون \* وقالت أولأهم لأولأهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً مما كنتم تكسبون ) وقال تعالى ( ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ) وأما تخاصمهم فى المحشر فقال تعالى ( ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أن نحن صددناكم عن الهدى بعد إذا جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تماروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون )

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ

سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُمْكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَتُلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ  
إِلَيَّ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جَنَّاتٍ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿

يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنة ، وأسكن الكافرين الدركات ،  
فقام فبهم إبليس لعنه الله بومئذ خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم وغيباً إلى غيبهم وحسرة إلى حسرتهم فقال ( إن الله  
وعدكم وعد الحق ) أى على السنة رسله ووعدكم فى اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعداً حقاً وخبراً صدقاً وأما أنا  
فوعدتكم فأخلفتكم كما قال الله تعالى ( بعدهم ويمنيهم وما بعدهم الشيطان لإغروراً ) ثم قال ( وما كان لى عليكم من سلطان )  
أى ما كان لى عليكم فما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به ( إلا أن دعوتكم فاستجبت لى ) بمجرد ذلك هذا وقد أقامت  
عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءكم به فخالقتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ( فلا تلومونى ) اليوم  
( ولوموا أنفسكم ) فإن الذنب لكم لكونكم خالقتم الحجج واتبعتونى بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل ( ما أنا بمصْرِخِكُمْ )  
أى بنافعكم ومتقدم ومخلصكم بما أنتم فيه ( وما أنتم بمصْرِخِيَّ ) أى بنافعى بانقاذى مما أنا فيه من العذاب والنكال ( إنى كفرت  
بما أشركتمون من قبل ) قال قتادة أى بسبب ما أشركتمون من قبل ، وقال ابن جرير يقول إنى جحدت أن أكون  
شريكاً لله عز وجل وهذا الذى قاله هو الراجح كما قال تعالى ( ومن أضل ممن بدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى  
يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) وقال ( كلا سيكفرون  
بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ) وقوله ( إن الظالمين ) أى فى إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر  
من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ولكن قد ورد فى حديث رواه ابن أبى  
حاتم وهذا لفظه وابن جرير من رواية عبد الرحمن بن زياد : حدثنى دخين الحجرى عن عقبة بن عامر عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا جمع الله الأولين والآخرين فقضى بينهم ففرغ من القضاء ، قال المؤمنون قد قضى بيننا  
ربنا فمن يشفع لنا ؟ فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم وذكر نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى فيقول عيسى أدلكم على النبى  
الأمى فيأتونى فيأذن الله لى أن أقوم اليه فيثور من مجلسى من أطيب ريح شمسها أحدقظ حتى آتى ربي فيشفعنى ويجعل لى  
نورا من شعر رأسى إلى ظفر قدمى ثم يقول الكافرون هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ؟ ما هو إلا إبليس  
هو الذى أضلنا ، فيأتون إبليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا فيقوم  
فيثور من مجلسه من أنتم ريح شمسها أحدقظ ثم يعظم نحيبهم ( وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق  
ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبت لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ) « وهذا  
سياق ابن أبى حاتم ورواه المبارك عن رشدين بن سعد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن دخين عن عقبة به مرفوعاً ،  
وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله لما قال أهل النار ( سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ) قال لهم إبليس  
( إن الله وعدكم وعد الحق ) الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا ( لملت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون  
إلى الإيمان فتكفرون ) وقال عامر الشعبي يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس يقول الله تعالى لعيسى بن مريم  
( أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ ) إلى قوله ( قال الله هذى يوم ينفع الصادقين صدقهم ) قال ويقوم  
إبليس لعنه الله فيقول ( وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبت لى ) الآية . ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء  
وما صاروا اليه من الحزى والنكال ، وأن خطيبهم إبليس عطف بمآل السعداء فقال ( وأدخل الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ) سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا ( خالدين فيها ) ما كثرين أبداً لا يحولون  
ولا يزولون ( بإذن ربهم تحييتهم فيها سلام ) كما قال تعالى ( حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم )

وقال تعالى ( والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ) وقال تعالى ( ويلقون فيها حية وسلاما ) وقال تعالى ( دعواهم فيها سبحانك اللهم ونخيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين )

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (مثلا كلمة طيبة) شهادة أن لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) وهو المؤمن (أصلها ثابت) يقول لا إله إلا الله في قلب المؤمن (وفرعها في السماء) يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء وهكذا قال الضحاك وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال هي النخلة وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس هي النخلة ، وحماد بن سلمة عن شعيب بن الحبابة عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بقتل بسر فقرأ (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هي النخلة ، وروى من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفا وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم ، وقال البخاري حدثنا عبيد بن إسمايل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أخبروني عن شجرة تشبه - أو - كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفا ولا شتاء وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أنا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتسكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ « هي النخلة » فلما قلنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة . قال ما معك أن تتكلم ؟ قلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتسكلم أو أقول شيئا ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا ، وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحدا قال كنا عند رسول الله ﷺ فأنى بجمار فقال « من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم » فأردت أن أقول هي النخلة فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي النخلة » أخرجه . وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن » قال فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبي أنها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله ﷺ « هي النخلة » أخرجه أيضا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسمايل حدثنا أبان يعني ابن زيد العطار حدثنا قتادة أن رجلا قال يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، فقال « أ رأيت لو عمدا إلى متاع الدنيا فركب بعضه على بعض أ كان يبلغ السماء ، أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟ » قال ما هو يا رسول الله ؟ قال « تقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات في دبر كل صلاة فذاك أصله في الأرض وفرعه في السماء » وعن ابن عباس (كشجرة طيبة) قال هي شجرة في الجنة وقوله (تؤتي أكلها كل حين) قيل غدوة وعشيا وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل سنة أشهر وقيل كل سبعة أشهر وقيل كل سنة ، والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كشجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح أثناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين (بإذن ربها) أي كاملا حسنا كثيرا طيبا مباركا (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هذا مثل كفر الكافر لأصله ولآيات مشبه بشجرة الحنظل ويقال لها الشريان رواه شعبة عن معاوية بن أبي قرة عن أنس بن مالك : أنها شجرة الحنظل ، وقال أبو بكر البزار الحافظ حدثنا يحيى بن محمد السكن حدثنا أبو يزيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن

قوة عن أنس أحسبه رفعه قال (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هي النخلة (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) قال هي الشريان ثم رواه عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن معاوية عن أنس موقوفا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن شعيب بن الحجاب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هي الحنظلة » فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به ورواه أبو يعلى في مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا غسان عن حماد عن شعيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع عليه بسر فقال (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) فقال « هي النخلة » (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة احتثت من فرق الأرض مالها من قرار) قال هي الحنظل « قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كنا نسمع. وقوله (اجثت) أى استؤصلت (من فوق الأرض مالها من قرار) أى لا أصل لها ولا ثبات ، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شيء

﴿ يثبتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾

قال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) » ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن النهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل من الأنصار فاتهمنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال « استعينوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثاً ثم قال « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفضة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل ملاء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وقها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة واقتنحوا له باباً إلى الجنة - قال - فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى كنت يسرك هذا يومك الذى كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى أتى بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يحيى ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة: اخرجى

إلى سخط من الله وغضب - قال - فتفرق في جسده فينتزعه كما ينتزع السفود من الصوف الملبول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنين ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يبرون بها على ملائمة الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له - ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ) فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحة - ثم قرأ ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ) فتعاد روحه في حسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك ؟ فيقول هاهاه لا أدري فيقولان له ما ديك ؟ فيقول هاهاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاهاه لا أدري فينادى منادى من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الشيب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة » ورواه أبو داود من حديث الأعمش والنسائي وابن ماجة من حديث المنهال بن عمرو به ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فذكر نحوه وفيه « فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم » وفي آخره « ثم يقبض له أعمى أصم أبكم وفي يده مرزبة لو ضرب بها جبل لكان تراباً فيضربه ضربة فيصير تراباً ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين » قال البراء ثم يفتح له باب إلى النار ويمهد له من فرش النار ، وقال سفيان الثوري عن أبيه عن خيشمة عن البراء في قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) قال عذاب القبر . وقال السعدي عن عبد الله بن محارق عن أبيه عن عبد الله قال : إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له ما ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فيثبته الله فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) وقال الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيان بن عبد الرحمن عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة » قال النبي صلى الله عليه وسلم « فإياها جميعاً » قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً إلى يوم القيامة رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتانى القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذه الأمة تتلى في قبورها فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهاز فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبداه فيقول له الملك انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجأك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فإياهما كليهما ، فيقول المؤمن دعونى أبشر أهلى فيقال له اسكن ، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس ، فيقال له لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار » قال جابر فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يبعث كل عبد فى القبر على ما مات ، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه » إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدرى قال :

شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعدته فقال ما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له باباً إلى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت فهذا منزلك فيفتح له باباً إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا فيفتح له باباً إلى النار ثم يغممه قمعاً بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين ، فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحسد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله ﷺ ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) وهذا أيضاً إسناد لا بأس به فإن عباد بن راشد التميمي روى له البخاري مقرونا ولكن ضعفه بعضهم وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان . قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقولون مرحبا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان - قال - فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بجميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارحمي ذميمة فإنه لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ويحاسب الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول . ورواه النسائي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب بنحوه ؛ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك - قال - ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلی جسد كنت تعمريته فينطلق به إلى ربه عز وجل فيقول أنطلقوا به إلى آخر الأجل . وإن الكافر إذا خرجت روحه - قال حماد - وذكر من نتنها وذكر مقتا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل - قال أبو هريرة فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا .

وقال (١) ابن حبان في صحيحه حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن أكرم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن إذا قبض أتمه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنه ليسأله بعضهم بعضاً يشمونهم حتى يأبوا به باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم فيقول قد مات أما أنا كما تقولون ذهب به إلى أمه الهاوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي إلى غضب الله فتخرج كأنهن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض »

وقد روى أيضاً من طريق هام بن يحيى عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه قال « فيسأل مافعل فلان، مافعل فلان، مافعل فلانة ، قال وأما الكافر فإذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحاً أنتين من هذه فيبلغ بها الأرض السفلى » قال قتادة وحدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله ابن عمرو قال : أرواح المؤمنين تجتمع بالجايبين ، وأرواح الكفار تجتمع بيهوت سبخة بحضرموت ثم يضيق عليه

(١) من هنا إلى قوله الآتي : وقال الحافظ أبو عيسى الترمذي غير موجود في النسخة المسكية .

قبره . وقال الحافظ أبو عيسى الترمذى رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر بن الفضل عن عبد الرحمن عن سعيد ابن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين وينور له فيه ثم يقال له نعم فيقول أرحح إلى أهلى فأخبرهم فيقولان نعم نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال للأرض التثمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف أصلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » ثم قال الترمذى هذا حديث حسن غريب . وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ) - قال - « ذلك إذا قيل له فى القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله : ودينى الإسلام ونبى محمد جاءنا بالبينات من عند الله فأمنت به وصدقت فىقال له صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث » وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد فلا حدثنا يزيداً بننا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « والذى نفسى بيده إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الحيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلى مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ما قبلى مدخل فبؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلى مدخل فيؤتى من عند رجله فيقول فعل الحيرات ما قبلى مدخل فيقال له اجلس فيجلس قدمته له الشمس قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نسألك فيقول دعنى حتى أصلى فيقال له إنك سنفعل فأخبرنا عما نسألك فيقول وعم تسألونى ؟ فيقال رأيت هذا الرجل الذى كان فىكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدفناه فيقال له على ذلك حبيت وعلى ذلك مت وعليه تبعث إن شاء الله ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ثم تجعل نسمة فى النسم الطيب وهى طير خضر يعلق بشجر الجنة ويعاد الجسد إلى ما بدىء من التراب » وذلك قول الله ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ) ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد ابن عمر وذكر جواب الكافر وعذابه . وقال البزار حدثنا سعيد بن بحر القرايسى حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال « إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيود لو خرجت يعنى نفسه والله يحب لقاءه وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتية أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض ، فإذا قال تركت فلانا فى الأرض أعجبهم ذلك وإذا قال إن فلانا قد مات قالوا ما جىء به إلينا ، وإن المؤمن يجلس فى قبره فيسئل من ربك فيقول ربى الله ، ويسئل من نبيك فيقول محمد نبي فيقال ماذا دينك ؟ قال دينى الإسلام فيفتح له باب فى قبره فيقول - أو يقال - انظر إلى مجلسك ثم يرى القبر فكأتما كانت رقدة وإذا كان عدو الله نزل به الموت وعابن ما عابن فانه لا يحب روحه أبداً والله يبغض لقاءه فإذا جلس فى قبره أو اجلس فيقال له من ربك ؟ فيقول لا أدري فيقال لا دريت فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين ثم يقال له نعم كما ينام النهوش » قلت لأبى هريرة ما النهوش ؟ قال الذى تنهش الدواب والحيات ثم يضيق عليه قبره ثم قال لانعلم رواه إلا الوليد بن مسلم (١) . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : كانت أسماء يعنى بنت الصديق رضى الله عنها تحدث عن النبي ﷺ قالت : قال « إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً حف به عمله الصلاة والصيام قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده قال فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول فى هذا الرجل يعنى النبي ﷺ

قال من ؟ قال محمد ، قال أشهد أنه رسول الله ، قال وما يدريك أدركته ، قال أشهد أنه رسول الله قال : يقول على ذلك عشت ، وعاليه مت ، وعليه تبعث ، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرد فأنجلسه فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أي رجل ؟ قال محمد ؟ قال يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، قال له الملك على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته حجرة مثل عرف البعير تضربه ماشاء الله صماء لانسمع صوته فترحمه . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول ربى الله ، فيقال له من رسولك ؟ فيقول محمد ﷺ فيقال له ماشهادتك ؟ فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فيوسع له في قبره مد بصره ، وأما الكافر فتنزّل عليه الملائكة فيسقطون أيديهم ، والبسط هو الضرب (يضربون وجوههم وأبدانهم) عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد فقيل له من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئاً وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل من الرسول الذي بعث اليك ؟ لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئاً ( كذلك يضل الله الظالمين ) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قيادة الأصبغى في قوله تعالى ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) الآية ، قال إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له من ربك ؟ فيقول الله ، فيقال له من بريك : فيقول محمد بن عبد الله ، فيقال له ذلك مرات ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك من النار لوزعت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك من الجنة إذا ثبت ، وإذا مات الكافر أحاس في قبره فيقال له : من ربك ؟ من بريك فيقول لا أدري كست أسمع الناس يقولون ، فيقال له لا دريت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك إذ ثبت ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك إذ زرعت فذلك قوله تعالى ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ) قال لا إله إلا الله ( وفي الآخرة ) المسئلة في المبر ، وقال فناداه أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالحير والعمل الصالح ( وفي الآخرة ) في القبر ، وكذا روى عن غير واحد من السلف ، وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه بوادى الأصول حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال « إنى رأيت البارحة عجبا ، رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ، ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلواته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتي والنيبون قعود حلقا حلقا كلما دنا حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي ، ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءته حخته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلاة الرحم فقالت باعشر المؤمنين : كلموه فكلموه ، ورأيت رجلا من أمتي يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت له سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ، ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتي على شمير جهنم فجاءه وجهه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتي هوى في

النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يريد كما ترعد السعفة فجاء حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلواته على فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمتي إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » قال القرطبي بعد إيراده هذا الحديث من هذا الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة أورده هكذا في كتابه التذكرة . وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في هذا حديثاً غريباً مطولاً فقال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن إبراهيم التكري حدثنا محمد ابن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الجبلي وكان من أخيار أهل البصرة وكان من أصحاب حزم ، وسلام بن أبي مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال : يقول الله عز وجل ملك الموت انطلق إلى ولي فأنتي به فاني قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، اتنى به فلا يرجئه . فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة فان نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة تارة بأزواجها وتارة بكسوتها ومرة بئرها كما يعلل الصبي أهله إذا بكى قال وإن أزواجه ليتمشن عند ذلك ابهناشا قال وتبرز الروح قال البرساني يريد أن تخرج من العجل إلى ماتحب قال ويقول ملك الموت اخرجي يا أيها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال وملك الموت أشد به لطفاً من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه فهو يلمس بلطفه تحبباً لديه رضاء للرب عنه فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين قال : وقال الله عز وجل ( الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ) وقال ( فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ) قال روح من جهة الموت وريحان يتلقى به وجنة نعيم تقابله قال فاذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عنى خيراً فقد كنت سريعاً بي إلى طاعة الله بطيئاً لي عن معصية الله فقد نجيت وأنجيت قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله فيها وكل باب من السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فاذا قبض ملك الموت روحه أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقبله بنو آدم لشق إلا قلبه الملائكة قبلهم وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بنى آدم وحنوط قبل حنوط بنى آدم ويقوم من باب بيته إلى قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تتصدع منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون إن هذا كان عبداً معصوماً قال فاذا صعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة كل يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه قال فاذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش خر الروح ساجداً قال يقول الله عز وجل ملك الموت : انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب . قال فاذا وضع في قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاء مشيه إلى الصلاة فكان عند رجله وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فيبعث الله عز وجل عنقا من العذاب قالوا فيأتيه عن يمينه قال فتقول الصلاة ورائك والله ما زال دائماً عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجله فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية يلمس هل يجد اليه مصاعاً إلا وجد ولي الله قد أخذ جنته قال فينقع العذاب عند ذلك فيخرج قال ويقول الصبر لسائر الأعمال أما إنه لم يعنى أن أباشر أنا بنفسى إلا أنى نظرت ما عندكم فان عجزتم كنت أنا صاحبه فأما إذا أجزأتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان قال ويبعث الله ملكين أبصارها

كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعتهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس قال فيجلس فيستوى جالسا قال وتقع أ كفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ قال قالوا يا رسول الله ومن يطيق الكلام عند ذلك وأنت تصف من الملكين ما تصف؟ قال: فقال رسول الله ﷺ (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة \* ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) قال فيقول ربى الله وحده لا شريك له ودينى الإسلام الذى دانت به الملائكة ونبي محمد خاتم البين قال فيقولان له صدقت قال فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعا وعن يمينه أربعين ذراعا وعن شماله أربعين ذراعا ومن خلفه أربعين ذراعا ومن عند رأسه أربعين ذراعا ومن عند رجليه أربعين ذراعا قال فيوسعان له مائتى ذراع: قال البرسانى فأحسبه وأربعين ذراعا تحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة قال فيقولان له: ولى الله هذا منزلك إذ أطعت الله فقال رسول الله ﷺ «والذى نفس محمد بيده إنه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا تتردد أبدا» ثم يقال له انظر تحتك قال فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار قال فيقولان له: ولى الله نجوت آخر ما عليك قال: فقال رسول الله ﷺ - إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا تتردد أبدا» قال: قالت عائشة

يفتح له سبعة وسبعون بابا إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله عز وجل

وبالإسناد المتقدم إلى النبي ﷺ قال: ويقول الله تعالى ملك الموت انطلق إلى عدوى فأنتى به فأنتى قد بسطت له رزق. ويسرت له نعمتى، فأبى إلا معصيتى فأنتى به لأنتقم منه، قال فينطق إليه ملك الموت فى أكره صورة رآها أحد من الناس قط له اثنتا عشرة عينا ومعه سفود من النار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجر من جمر جهنم ومعهم سياط من نار لينها لين السياط وهى نار تأجج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود فى أصل كل شعرة وعرق وظفر، قال ثم يلويه ليا شديدا قال فينزع روحه من أظفار قدميه قال فيلقها فى عقبيه. قال فيسكر عدو الله عن ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه، قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال فيشده الملك الموت شدة فينزع روحه من عقبيه فيلقها فى ركبته ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه فال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال فى ركبته فيلقها فى حقويه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال كذلك إلى صدره ثم كذلك إلى حلقه قال ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجر جهنم تحت ذقنه قال ويقول ملك الموت اخرجى أيتها الروح اللعينة إلى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم - قال فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد: جزاك الله عنى شرا فقد كنت سريعا بى إلى معصية الله بطيئى عن طاعة الله فقد هلكت وأهلكت - قال - ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الأرض التى كان يعصى الله عليها وتنطق جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدا من ولد آدم النار قال فإذا وضع فى قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه حتى تدخل الجمنى فى اليسرى واليسرى فى اليمنى قال ويبعث الله إليه أفاعى دهما كأعناق الإبل يأخذن بأذنيه وإبهامى قدميه فيقرضنه حتى يلتقيان فى وسطه قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياحى وأنفاسهما كاللهب يطآن فى أشعارهما بين منكبى كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعتهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير فى يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربعة ومضر لم يقلوها، قال فيقولان له اجلس فيستوى جالسا وتقع أ كفانه فى حقويه، قال فيقولان له من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول لا أدرى فيقولان له لا دريت ولا تليت فيضربانه ضربة يتطاير شررها فى قبره ثم يعودان، قال فيقولان انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان: عدو الله هذا منزلك لو أطعت الله. قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا تتردد أبدا» قال - ويقولان له انظر تحتك فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار - فيقولان: عدو الله هذا

من ذلك إذ عصيت الله قال رسول صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترد أبداً » قال : وقالت عائشة ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتية حرها وسمومها حتى يبعثه الله إليها . هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب ويزيد الرقاشى راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم ، ولهذا قال أبو داود حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هانىء مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال « استغفروا لأخيكم واسألوا الله التثبيت فإنه الآن يسئل » تفرد به أبو داود ، وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم) الآية حديثاً مطولاً جداً من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً وفيه غرائب أيضاً

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ \* جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْأَقْرَارُ \* وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾

قال البخارى قوله ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً ) ألم تعلم كقوله ( ألم تر كيف ) ( ألم تر إلى الذين خرجوا ) البوار لهلاك بار بيور بوراً ( قوم ابور ) هالكين . حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً ) قال هم كفار أهل مكة وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جبلة ابن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلاحقوا بالروم والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول وإن كان المعنى يعم جميع الكفار فإن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردها وكفرها دخل النار ، وقد روى عن علي نحو قول ابن عباس الأول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً عن ( الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ) قال هم كفار قريش يوم بدر ، حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفي عن أبي الطفيل قال جاء رجل إلى علي فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال منافقو قريش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفييل قال قرأت على معقل عن ابن أبي حسين قال : قام علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال ألا أحد يسألني عن القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به مني وإن كان من وراء البحار لأتيتته ، فقام عبد الله بن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال مشركو قريش أتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار .

وقال السدى<sup>(١)</sup> في قوله ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً ) الآية ذكر مسلم المستوفى عن علي أنه قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة ، فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد ، وكان أبو جهل يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد ، وأما دار البوار فهي جهنم وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحارث أبو منصور عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو ابن مرة قال سمعت علياً قرأ هذه الآية ( وأحلوا قومهم دار البوار ) قال هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر ، وأما بنو أمية ففتنوا إلى حين ورواه أبو إسحق عن عمرو بن مرة عن علي نحوه ، وروى من غير وجه عنه . وقال سفيان الثوري عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً ) قال هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر ، وأما بنو أمية ففتنوا إلى حين . وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ) قال هم الأفجران

(١) في النسخة المكية : ذكر قول السدى هذا بعد قول ابن أبي حاتم الآن .

من قريش أخوالى وأعمامك . فأما أخوالى فأسأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك فأملئ الله لهم إلى حين . وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر ، وكذا رواه مالك في تفسيره عن نافع عن ابن عمر وقوله ( وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله ) أى جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك ، ثم قال تعالى مهتدا لهم ومتوعدا لهم على لسان نبيه ﷺ ( قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ) أى مهتما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا فمهما يكن من شيء ( فإن مصيركم إلى النار ) أى مرجعكم وموئلكم إليها كما قال تعالى : ( نعمهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غايظ ) وقال تعالى ( متاع في الدنيا ثم إليهم مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون )

﴿ قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴾

يقول تعالى أمرا عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات والنفقة على الفرات والإحسان إلى الأجانب ، والمراد بإقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها ، وأمر تعالى بالانفاق مما رزق في السرائى في الخفية والعلانية وهي الجهر ، ولسادروا إلى ذلك لحلاص أنفسهم ( من قبل أن يأتي يوم ) وهو يوم القيامة ( لا يبيع فيه ولا خلال ) أى ولا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه كما قال تعالى ( فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ) وقوله ( ولا خلال ) قال ابن جرير يقول ليس هناك محالة خليل فيصيح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفته ، بل هناك العدل والقسط ، والحلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله محالة وخاللا ومنه قول امرئ القيس :

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى \* ولست بمغلي لا خلال ولا قالى

وقال قتادة إن الله قد علم أن في الدنيا بيوعا وخاللا يتخالون بها في الدنيا فينظر الرجل من محال وعلام . يصاحب ، فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه ، قات والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدا ببيع ولا فدية ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ولو وحده ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كفارا قال الله تعالى ( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ) وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون )

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَايِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَءَاتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظا والأرض فراشا ( وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى ) ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن حملها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر جلب ما هنا إلى هناك ، وما هناك إلى هنا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقا للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من أنواع المنافع ( وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ) أى يسيران لا يفتران ليلا ولا نهارا ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ) ( يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله العالمين ) فالشمس والقمر يتعاقبان ، والليل والنهار يتعارضان ، فتارة بأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقص ( يوجب



﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عند ما ولى عن هاجر ولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا كان بعد بنائه تأكيدياً ورغبة إلى الله عز وجل ولهذا قال (عند بيتك المحرم) وقوله (ربنا ليقيموا الصلاة) قال ابن جرير هو متعلق بقوله (المحرم) أى إنما جعلته محرماً ليمكن أهله من إقامة الصلاة عنده (فاجعل أفتداء من الناس تهوى إليهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره لوقال أفتداء الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال (من الناس) فاختص به المسلمون ، وقوله (وارزقهم من الثمرات) أى ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك وكما أنه واد غير ذى زرع فاجعل لهم ثماراً يأكلونها ، وقد استجاب الله ذلك كما قال (أولم يمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا) وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مشمرة وهى تجي إليها ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ \* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ \* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

قال ابن جرير يقول تعالى مخبراً عن إبراهيم خليله أنه قال (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) أى أنت تعلم قصدى في دعائى وما أردت بدعائى لأهل هذا البلد ، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك فأبكت تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء) أى إنه يستجيب لمن دعاه، وقد استجاب لى فيما سألته من الولد ثم قال (رب اجعلنى مقيم الصلاة) أى محافظاً عليها مقياً لحدودها (ومن ذريتى) أى واجعلهم كذلك مقيمين لها (ربنا وتقبل دعاء) أى فيما سألتك فيه كله (ربنا اغفر لى ولوالدى) قرأ بعضهم ولوالدى بالإنفراد وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل (وللمؤمنين) أى كلهم (يوم يقوم الحساب) أى يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾

يقول تعالى ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً عما يعمل الظالمون أى لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصى ذلك عليهم ويعده عليهم عدلاً (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أى من شدة الأهوال يوم القيامة، ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام الحشر فقال (مهطعين) أى مسرعين كما قال تعالى (مهطعين إلى الداع) الآية وقال تعالى (يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له - إلى قوله - وعتت الوحوه للحمى القيوم) وقال تعالى (يوم يخرجون من الأجداث سراعى) الآية وقوله (مقنعي رؤوسهم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد رافعى رؤوسهم (لا يرتد إليهم طرفهم) أى أبصارهم ظاهرة شاخصة مديون النظر لا يطفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والخافة لما يحل بهم عياداً بالله العظيم من ذلك ، ولهذا قال (وأفتدتهم هواء) أى وقلوبهم

خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والحواف ولهذا قال قتادة وجماعة إن أمكنة أفسدهم خالية لأن القلوب لدى الحاجر قد خرجت من أماكنها من شدة الحوف . وقال بعضهم هي خراب لا تعنى شيئا لشدة ما أخبر به تعالى عنهم ، ثم قال تعالى لرسوله ﷺ .

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبِجْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّشَلَ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ \* وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ \* وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قيل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب ( ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل ) كقوله ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني ) الآية وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ) الآية وقال تعالى مخبرا عنهم في حال محشرهم ( ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ) الآية وقال ( ولو ترى إذ ذوقوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ) الآية وقال تعالى ( وهم يصطرون فيها ) الآية قال تعالى رادا عليهم في قولهم هذا ( أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ) أي أولم تكونوا تخلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه وأنه لا معاد ولا جزاء فذوقوا هذا بذلك قال مجاهد وغيره ( ما لكم من زوال ) أي ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة كقوله ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ) الآية ( وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ) أي قد رأيتم وبلغكم ما أحلنا بالأمم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر ( حكمة بالغة فاتغى النذر ) وقد روى شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب (١) أن علياً رضي الله عنه قال في هذه الآية ( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) قال أخذ ذلك الهى حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا واستفجلا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت وجوعهما وقعد هو ورجل آخر في التابوت قال ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا وجعل يقول لصاحبه انظر ما ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى الدنيا كلها كأنها ذباب . قال فصوب العصا فصوبها فهبطاً جميعاً قال فهو قوله عز وحل ( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) قال أبو إسحاق وكذلك هي في قراءة عبد الله ( وإن كان مكرهم ) قلت وكذا روى عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرآ ( وإن كان ) كما قرأ على وكذا رواه سفيان الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن رباب (٢) عن علي فذكر نحوه وكذا روى عن عكرمة أن سياق هذه القصة لعمرو ملك كنعان أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط ببناء الصرح فعجزا وضعفا وهما أقل وأحق وأصغر وأدحر ، وذكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها نودى أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح فصوبت النسور ففزعت الجبال من هبتها وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك فذلك قوله ( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) ونقل ابن جرير عن مجاهد أنه قرأها ( لتزول منه الجبال ) بفتح اللام الأولى وضم الثانية ، وروى العوفي عن ابن عباس في قوله ( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وكذا قال الحسن البصري ووجه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها وإنما عاد وبال ذلك عليهم قلت ويشبه هذا قول الله تعالى ( ولا تمس في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ) والقول الثاني في تفسيرهما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) يقول شركهم (١) كذا في الأميرية ، وفي المسكية ابن دايل (٢) كذا فيها أيضا . وفي المسكية ابن أبي وهو الصواب فيها كما في تقريب التهذيب .

كقوله ( تسكاد السموات يتفطرن منه ) الآية وهكذا قال الضحاك وقتادة

﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مَخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ \* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

يقول تعالى مقررًا لوعده ومؤكداً ( فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ) أى من نصرتهم فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، ثم أخبر تعالى أنه ذوعزة لا يمتنع عليه شئ أرادته ولا يغالب وذو انتقام ممن كفر به وججده ( فويل يومئذ للمكذبين ) ولهذا قال ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ) أى وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وهى هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء فى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقيّ ليس فيها معلم لأحد » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ) قالت قلت أين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال « على الصراط » رواه مسلم منفرداً به دون البخارى والترمذى وابن ماجه من حديث داود بن أبى هندبه ، وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أحمد أيضاً عن عفان عن وهيب عن داود عن الشعبي عنها ولم يذكر مسروقاً ، وقال قتادة عن حسان بن بلال المزنى عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ) قالت : قلت يا رسول الله فأين الناس يومئذ ؟ قال « لقد سألتنى عن شئ مأسألى عنه أحد من أمتى ، ذلك أن الناس على جسرهم ، وروى الإمام أحمد من حديث حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد عن ابن عباس حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ( والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ) فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال « هم على متن جهنم » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا على ابن الجعد أخبرنا القاسم سمعت الحسن قال : قالت عائشة يا رسول الله ( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) فأين الناس يومئذ ؟ قال « إن هذا شئ مأسألى عنه أحد قال - على الصراط باعائشة » ورواه أحمد عن عفان عن القاسم بن الفضل عن الحسن به ، وقال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حديث الحسن بن على الحلوانى حدثنى أبوتوبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد يعنى أخاه أنه سمع أباسلام حدثنى أبواسماء الرحبى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال : كنت فائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعنى ؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودى إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ « إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى » فقال اليهودى جئت أسألك ، فقال رسول الله ﷺ « أيفعك شيئاً إن حدثتك » قال أسمع بأذنى فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال « سل » فقال اليهودى أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم فى الظلمة دون الجسر » قال فمن أول الناس إجازة ؟ فقال « فقراء المهاجرين » فقال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبدالنون » قال فما غداؤهم فى أثرها ؟ قال « ينجر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شراهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيل » قال صدقت قال وحثت أسألك عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان قال « أيفعك إن حدثتك » قال أسمع بأذنى . قال جئت أسألك عن الولد ، قال « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعوا فعلمنى الرجل منى المرأة أذ كرا باذن الله تعالى وإذا علمنى المرأة منى الرجل آتتا باذن الله » قال اليهودى لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد سألتنى هذا عن النبى سألنى عنه ومالى علم بشئ منه حتى أتانى الله به » قال أبو جعفر بن جرير الطبرى حدثنا ابن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبى مريم حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى عن أبى أيوب الأنصارى أن حبرا من اليهود سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال

أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) فأين الخلق عند ذلك؟ فقال «أضياف الله فلن يعجزهم ماله» ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وقال شعبة أخبرنا أبو إسحق سمعت عمرو بن ميمون، وربما قال: قال عبد الله وربما لم يقل فقلت له عن عبد الله فقال سمعت عمرو بن ميمون يقول (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال أرض كالفضة البيضاء تقيه لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي حفاة عراة كما خلقوا قال أراه قال قيما حتى يلجمهم العرق، وروى من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه، وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود به، وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به أورد ذلك كله ابن جرير، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا سهل بن حماد أبو غياث حدثنا جرير بن أيوب عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال «أرض بيضاء لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها خطيئة» ثم قال لا نعلم رفعه إلا جرير بن أيوب وليس بالقوي، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سنان عن جابر الجعفي عن أبي جيرة عن زيد قال أرسل رسول الله ﷺ إلى اليهود فقال «هل تدرون لم أرسلت إليهم؟» قالوا الله ورسوله أعلم، قال «فإني أرسلت إليهم أسألهم عن قول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة» فلما جاءوا سألتهم فقالوا تكون بيضاء مثل النقي، وهكذا روى عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة، وعن علي رضي الله عنه أنه قال تصير الأرض فضة والسماوات ذهباً، وقال الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: تصير السماوات جنا، وقال أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن قيس في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وكذا روى وكيع عن عمر بن بشر الهمداني عن سعيد بن جبير في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، وقال الأعمش عن خثيم قال: قال عبد الله بن مسعود: الأرض يوم القيامة كلها نار والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق ويبلغ منهم العرق ولم يبلغوا الحساب. وقال الأعمش أيضاً عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال: قال عبد الله الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى ترشح في الأرض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وماسمه الحساب قالوا م ذلك يا أبا عبد الرحمن، قال مما يرى الناس ويلقون. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن كعب في قوله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) قال تصير السماوات جنا وبصير مكان البحر ناراً وتبدل الأرض غيرها، وفي الحديث الذي رواه أبو داود «لا يركب البحر إلا غاز أو حجاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً - أو تحت النار بحر -» وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيبسها ويمدها مداً أديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ثم يجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة» وقوله (وبرزوا لله) أي خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله (الواحد القهار) أي الذي هو كل شيء وغلبه ودانت له الرقاب وخضعت له الأبواب

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ وَنَفْسُهُمْ أَلْفَاظُهُمْ \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) وتبرز الخلائق لبيانها ترى يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجزموا بكفرهم وفسادهم (مقرنين) أي بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء والأشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال (وإذا النفوس زوجت) وقال (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) وقال (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد) والأصفاد هي القيود قاله ابن عباس

وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور في اللغة ، قال عمرو بن كلثوم  
فآبوا بالثياب وبالسياب \* وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله (سرايلهم من قطران) أى ثيابهم التى يلبسونها من قطران وهو الذى تهبأ به الإبل أى تطلى قال قتادة وهو ألصق  
شئء بالنار . ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم  
كأن قطراناً إذا تلاها \* ترمى به الريح إلى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها (سرايلهم من قطران) أى من نحاس حار قد انتهى  
حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقاتدة وقوله (وتعشى وجوههم النار) كقوله (تلمح  
وجوههم النار وهم فيها كالخون) وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن إسحق أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبى كثير  
عن زيد عن أبى سلام عن أبى مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «أربع فى أمى من أمر الجاهلية لا يتركوهن :  
الفخر بالأحساب والظن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، والنأحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة  
وعلها سربال من قطران ودرع من جرب» انفرد بإخراجه مسلم . وفى حديث القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال  
رسول الله ﷺ رفعه «النأحة إذا لم تتب توقف فى طريق بين الجنة والنار وسرايلها من قطران وتعشى وجوههم النار»  
وقوله (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يوم القيامة (ليجزى الدين أساءوا بما عملوا) الآية (إن الله سريع  
الحساب) يحتمل أن يكون كقوله تعالى (أقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) ويحتمل أنه فى حال محاسبته  
لعبده سريع النجاز لأنه يعلم كل شئء ولا يخفى عليه خافية وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم كقوله  
تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وهذا معنى قول مجاهد (سريع الحساب) إحصاء ويحتمل أن يكون  
المعنىان مرادين والله أعلم .

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) أى هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما  
قال فى أول السورة (الر \* كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الآية (ولينذروا به) أى لينعطوا  
به (وليعلموا أنما هو إله واحد) أى يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو (وليدكر أولو الأبواب)  
أى ذوو العقول آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .

﴿ تفسير سورة الحجر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ آر تَلَكَّ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ \* رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ \* ذَرَّهُمْ إِنَّمَا كُنُوا  
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم  
أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا فى الدنيا مسلمين ، ونقل السدى فى تفسيره بسنده  
الشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا  
مسلمين . وقيل المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً ، وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله  
تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان  
الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الزاهرية عن عبد الله فى قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال هذا فى  
الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار ، وقال ابن جرير حدثنى الثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبى فروة